

الكلام تواردا فقد يمكن أن يحدث لأبي العلاء ما حدث ليزيد بن أبي سفيان وهناك الكثيرون من الخطباء العرب المصاقع الذين أرادوا الكلام على المنابر فأرتج عليهم وقد ذكر البعض منهم الجاحظ في بيانه وابن عبد ربه في عقده الفريد .

ويروى البعض من المؤرخين وأصحاب التراجم أن ثابت قطنة أنشد بيته هذا بعد أن نزل من المنبر ودخل الناس عليه فأنشدهم فقالوا له : لوقلته على المنبر لكنت أخطب الناس^(١١) .

ومما قال الشعراء العرب في معنى قول ثابت قطنة هذا قول كعب بن معدان الأشثري وكان من أصدقاء ثابت :

إلا أكن في الأرض أخطب قائما فاني على ظهر السكيت خطيب
ومنه قول الآخر وقد رواه أبو هشمان^(١٢) :

عجبت لأقوام يعييون خطبتي وما منهم في مأقط بخطيب

وكان حاجب بن ذبيان المازني المنبوذ بحاجب الفيل يهجو ثابتا ويعيبه ويعيره بالحصر والمعنى وعدم القدرة على الخطابة والبيان فمن ذلك قوله^(١٣) :

أبا العلاء لقد لقيت معضلة	يوم العروبة ^(١٤) من كرب وتحنيق
أما القرآن فلم تخلق لمحكمه	ولم تسدد من الدنيا لتوفيق
لما رمت عيون الناس هبتهم	فكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوى اللسان وقد رمت الكلام به	كما هو زلق من شاقق النيق !

مكانته في العلم والأدب :

وكان ثابت قطنة العتكي على مكانة في الفهم والذكاء إلى جانب ما أعطى من موهبة القيادة والعبقرية الفذة في قرض الشعر كما أنه كان من نقاد الشعر في زمانه فكان يثمد شعر الشعراء المعاصرين على مأل من الناس وفي بلاط الأمراء والقواد ! «وكان من أصحاب يزيد بن المهلب وكان يوليه أعمالا من أعمال الثغور فيحمد فيها مكانه لكفائته وشجاعته^(١٥)» .

وكانت له معرفة بأنساب العرب وعلمائها ويذكرهم في شعره فهذا حماد بن بشر المضروب به المثل في علم الأنساب والذي قال عنه أبو عثمان أنه كان أعلى النسابين في العلم وأجودهم في الحفاظ^(١٥) وقال فيه ثابت قطنة :

فما العضان لوسئلا جميعا أخوبكر و زيد بنى هلال
ولا الكلبي حماد بن بشر ولا من فاد في الزمن الخوالى !

وكان ذكيا يدرك خطورة الموقف فينجو رغم حسد الحاسدين ووشاية الواشين فمن ذلك^(١٦) ما حدث له مع حميد الرواسي وعبادة المحاربي عند سعيد بن عبدالعزيز الوالي الجديد لخراسان وكانا يعادياه فأرادا القتال به فقتلا لسعيد إن ثابت قطنة هذا كان مع يزيد المهلبى حين خرج على الأمويين فقال :

لما لضرابون في حمس الوغى
رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : على به فجىء بثابت وقد أراد سعيد قتله فلما سأله عن قوله هذا غير ما قاله وأضاف إليه بيتا جديد فقال : نعم أنا القاتل :

لما لضرابون في حمس الوغى رأس المتوج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفسادا وكر عنود !

فقال له سعيد : أولى لك ! لولا أن خرجت منها لضربت عنقك .

بين رجال الدولة والسياسة :

ويبدو أن أبا العلاء ثابت قطنة العتكي كان قد مكث بخراسان مدة طويلة فقد اتصل بخسمة من أمراء خراسان في العصر المرواني وهم : المهلب بن أبي صفرة المتوفى ٨٣ هـ وابنه يزيد المقتول على يد مسلمة بن عبد الملك وسعيد بن عبدالعزيز الأموي وأميه بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي وقتيبة بن مسلم الباهلي المقتول في سنة ٧١٥/٨٩٦م فاذا صح اتصاله مع المهلب وهو على خراسان لعبد الملك فمعنى ذلك أنه أقام بها لمدة لا تقل من عشرين سنة أو ما يزيد قليلا .

شاعر آل المهلب :

ولا نبالغ إذا قلنا إن ثابت قطنة العتكي كان شاعر آل المهلب بن أبي صفرة وصنيعة أيديهم وكان منقطعاً إلى يزيد بن المهلب لا يفارقه ليل نهار وجل شعره الموجود المتداول بين أيدي الناس قد قيل في المهلب وآله وهو إما مدحهم أو رثاهم وكانت صلته بآل المهلب صلة قوية دائمة أساسها الحب والإخلاص والوفاء فقد ذكر أبو الفرج الإصبهاني فيما نسخ من كتاب بخط المرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة أن ابن الكواء يشكرى كان مع الشراة والمهلب يحاربهم وكان بعض إخوته شاعراً فهجا المهلب وعم الأزد بالهجاء فقال ثابت يرد عليه^(١٧) :

كل القبائل من بكر تعددهم	واليشكريون منهم ألام العرب
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ فقدت	يشكر أمه المعرورة النسب
نحاكم عن حياض الوجد والدكم	فما لكم في بني البرشاء من نسب
أنتم تحلون من بكر إذا نسبوا	مثل القراد حوالى عكوة الذنب
نبئت أن بني الكواء قد نبخوا	فعل الكلاب يشلى الليث في الأشب
يكوى الأبيجر عبدالله شيخكم	ونحن نبرى الذى يكوى من السكب

ونرى أن ثابتاً كان صريحاً في السلام إلى المهلب بن أبي صفرة حتى أنه كان ينتقده في بعض ماقضى به من شئون الدولة وهذا يدل على مكانته عند الأمير المهلب كما أنه يدل على إخلاص ثابت لولى نعمته فيروى لنا أبو عثمان أن المهلب كان قد ولى رجلاً بعض كور خراسان فلم يحمده سيرة الرجل في رعيته مما أثار غضب ثابت قطنة فقال ينتقد المهلب في تولية الرجل^(١٨) :

ما زال رأيك يا مهلب فاضلاً	حتى بنيت سرادقاً لو كيع
لو رأى أبوه سرادقاً أحدثته	لبكى وفاضت عينه بدموع

ومات المهلب فخلفه ابنه يزيد فانقطع إليه ثابت قطنة فكان هو وصديقه كعب بن معاذ الأشقرى لا يفارقان مجلس يزيد حتى أن ثابتاً هذا كان قد أصبح من أقرب المقربين إلى يزيد بن المهلب الموثوقين بهم عنده فكان يعتمد عليه في

المهمات ويستعين به في الملمات وكان يفوض إليه الكثير الأهم من شئون الدولة ويستشير به فيها كما أنه كان قد بلغ موضع الثقة عنده فوله الأعمال وأمره أن ينوب عنه في صلاة الجمعة فيصلي بالناس ويؤمهم ويقوم فيهم خطيباً وله فيه وفي إخوته مدائح جميلة ومراثي محزنة .

وكان يزيد بن المهلب قد خرج على بني مروان وجمع قبائل الأزدي وخلفاءها للقتال ضد الأمويين فكان ثابت قطنه ممن نصره وأيده وحرصه على الكفاح والنضال فقال^(١٩) :

أيزيد كن في الحرب إذ هيجتها	كأبيك لا رعنا ولا رعديدا
شاورت أكرم من تناول ماجدا	فرأيت همك في الهموم بعيدا
ما كان في أبويك قادح هجنة	فيكون زندك في الزناد صلودا
إنا لضرابون في حمس الوغى	رأس الخليفة إذ أراد صلودا
وترى إذا كفر العجاج ثوى لنا	في كل معركة فوارس صيدا
يا ليت أسرتك الذين تغيبوا	كانوا ليومك بالعراق شهودا

ويقال إن كتاب ثابت بهذا الشعر كان قد وصل إلى يزيد فقرأه ثم قال^(٢٠) :
(إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه ولعمري لأطبعنه وسيرى ما يكون فاكتبوا إليه بذلك).
ويروى أن مسلمة بن عبد الملك القائد المرواني يوم العقر أنشد قول ثابت
هذا بعد قتل يزيد بن المهلب :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا
كانوا ليومك بالعراق شهودا

فقال مسلمة وهو يرد على قول ثابت^(٢١) : (وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذ فسقيتهم بكأسه!) ويقال إن مسلمة كان أحد من أجاب شعراً بكلام منشور فغلبه .

ولما قتل يزيد بن المهلب يوم العقر في العراق لأن أهله من أنصاره كانوا قد خذلوه فقتله مسلمة فقال ثابت قطنه يرثيه^(٢٢) :

كل القبائل تابعوك على الذى
حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
ومن مراثيه المحزنة فى يزيد بن المهلب قوله (٢٣) :

ألا يا هند طال على ليلي
كأنى حين حلقت الثربا
أمر على حلو العيش يوم
مصاب بنى أبيك وغبت عنهم
فلا والله لا أنسى يزيدا
وعاد قصيره ليلا تماما
سقيت لعاب أسود أو سماما
من الأيام شيبني غلاما
فلم أشهدهم ومضوا كراما
ولا القنلى التى قتلت حراما !

وكان ممن قتل مع يزيد بن المهلب أخوه المفضل بن المهلب فدخل
ثابت قطنة على هند بنت المهلب فقال يرثى المفضل ، وهذه القصيدة من عيون
الشعر العربى وقد أشاد ببعض أبياته أبو عثمان الجاحظ وقال انها من أحسن ما
قيل فى الإيجاز وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة (٢٤) :

يا هند كيف بنصب بات يبكيني
كان ليلي والأصدقاء هاجدة
لما حنى الدهر من قوسى وعذرنى
إذا ذكرت أبا غسان أرقنى
كان الفضل عزا فى ذوى يمن
ما زلت بعدك فى هم تعجيش به
إنى تذكرت قتلى لو شهدتهم
لاخير فى العيش إن لم أجز بعدهم
وعائر فى سواد الليل يؤذيني
ليل السليم وأعياء من يداويني
قاسيت منه أمر الغلظ واللين
هم إذا عرس السارون يشجيني
وعصمة وثملا فى المساكين
نفسى وفى نصب قد كاد يبليني
فى غمرة الموت لم يصلوا بها دوني
جرباتيء بهم قتلى فيشفيقني

ولما سمعت هند بنت المهلب القصيدة قالت لثابت وهى تطلب إليه أن
يجلس عندها (٢٥) : (ما من ميتة ميت أشرف من حياة حى وليست المصيبة فى
قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعا لربه وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل

ذكره بعد موته وأرجو أن لا يكون المفضل عند الله خاملا ! فقال الناس حين سمعوا كلامها هذا (٢٦) : (ماعزى يومئذ بأحسن من كلامها !) .

بينه وبين سعيد خدينة :

وكان من بين من اتصل بهم سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي الملقب بسعيد خدينة وكان قد ولي خراسان من قبل مسلمة بن عبد الملك بعد عزل عبد الرحمن بن نعيم وانقراض العهد المهلبى بخراسان وكان سعيد من أصحاب مسلمة بن عبد الملك الموثوقون بهم عنده وكانت أمه تحت مسلمة وهو على بنت مسلمة كما أن أخاه عبد الله بن عبدالعزيز كان على رملة بنت محمد بن مروان (٢٧).

وحين ولي سعيد خدينة خراسان جلس في مجلس يعرض فيه الناس عليه فلما دعا بثابت قطنة العتكي تقدم بين يديه تام السلاح جواد الفرس إذ كان فارسا معلما من الفرسان العرب فسأل سعيد خدينة عنه فقبل له هذا هو ثابت قطنة العتكي الشاعر الفارس وأنه هو أحد فرسان الثغور لهذه البلاد فأمضاه وأجاز على اسمه ولكنه حين انصرف قال حميد الرواسي وعبادة المحاربى وكانا عنده في مجلسه ذاك : هذا أصلحك الله أيها الأمير هو الذى يقول :

إنا لضرابون فى حمس الوغى
رأس الخليفة إن أراد صدودا

فقال سعيد : على به مرة أخرى فردوا ثابتا وأدرك أنه يريد قتله فقال له : أ أنت الذى يقول : إنا لضرابون البيت ؟ فقال ثابت وقد فهم الموقف وأدرك الحقيقة : نعم أنا القائل (٢٨) :

إنا لضرابون فى حمس الوغى رأس المتوج إن أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه إن رام إفسادا وكر عنودا !

وهكذا غير بيتا وأضاف آخر مرتجلا فنمجا فقال له سعيد خدينة : أولى لك !
لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك !

هو وأمية بن عبدالله :

وممن ولاهم عبدالملك بن مروان ولاية خراسان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاصي الأموي وهو ممن جمعوا سلطانهم للحجاج بن يوسف الثقفي^(٢٩).

وكان أمية بن عبدالله هذا يعد من الولاة المحمقاء في عصره فأقام بخراسان مدة ثم كتب إلى عبدالملك أن خراج خراسان كلها لا يفي بحوائج مطبخه ويبدو أنه لم يصل ثابتاً بشيء فانتهاز ثابت قطنة فرصة البريد فرفع إليه رقعة وقال له : أوصل هذه الرقعة معك فلما أتى عبدالملك أوصل إليه رسالة أمية ففتحتها عبدالملك بين يديه فقرأ ما فيها حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة المدسوسة فقرأها ثم عزل أمية عن خراسان^(٣٥).

هذه الحكاية تدل على ذكاء ثابت وإدراكه مواقف الرجال كما أنها تدل على ثقة الخليفة به واعتماده عليه .

بينه وبين قتيبة بن مسلم الباهلي :

وولى قتيبة خراسان بعد عزل أمية بن عبدالله الأموي المذكور آنفاً وانقراض العهد المهلبى بخراسان وكان بينه وبين صاحبنا ثابت قطنة أشياء احتفظ التاريخ ببعضها وعتيبة هذا من كبار القواد العرب في العصر المرواني وله وقائع هامة في تاريخ خراسان وذكريات مجيدة في تاريخ الآداب العربية فمن ذلك خطبته التاريخية التي القاها بخراسان وقد احتفظ بها أبو عثمان^(٣١) :

«يا اهل خراسان ! قد جربتم الولاة قبلى : أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمие الدين فكتب إلى خليفته إن خراج خراسان وسجستان لو كان في مطبخه لم يكفه ! ثم أتاكم أبو سعيد (يعنى المهلب بن أبي صفرة) فدوخ بكم ثلاثاً لاتدرون أفى طاعة أم أنتم في معصية ثم لم يجب فيئاً ولم ينك عدوا ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة منهم ابن الدحمة حصان يضرب في عانة ! ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده

ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمرى لكم السبل حتى أن
الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند في غير جواز!

ويبدو أن قتيبة بن مسلم الباهلي كان يعنفو صاحبنا ولا يواصله بشيء ولم يهتم
به أي اهتمام وهذا ماجعل ثابت قطنة يبغض قتيبة فنراه أحيانا يعيره وقومه بالهزائم
المخزية وأحيانا أخرى يهجوهم ويذمه .

فهذا أبو الفرج يحدثنا أنه دخل على قتيبة وهو على خراسان فمدحه وسأله حاجة
فلم يقضها له فخرج من عنده يائسا محروما وهو يقول لأصحابه : ولكن يزيد بن
المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه خائبا ثم انشأ يقول (٣٢) :

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة
ولا ملك ممن يعين على الرد!

الآيات - - -

ويبدو أن سبب هذا الجفاء والإعراض والإغضاء إنما هو صلته بآل المهلب :
وقال مرة وهو يهجو قتيبة وقومه ويعيرهم بهزيمة انهزموها عن الترك (٣٣) :

توانت تميم في الطعان وعردت	بقيلة لما عاينت معشر غلبا
كمأة كفاة يرهب الناس حدهم	إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم تكبا
نسامون كعبا في العلا وكلابها	وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

وقال يهجوهم مقتولا (٣٤) ويذكر جفاهه :

ألم تر أن الباهلي ابن مسلم	بفرغانة القصوى بدار هوان
تمور أسابي الدماء بوجهه	وقد كان صعبا دائم الخطرانا!

هو وكعب الاشقري وحاجب الفيل :

وأما صلة ثابت قطنة بمن عاصره من الشعراء وخاصة من عاش منهم
بخراسان في عصره فهي أيضاً من الموضوعات الجديرة بالدراسة والاطلاع إلا أنه
لم يصل إلينا شيء كثير من المعلومات في هذا الموضوع ولم نعثر على اسم شاعر

منهم عارض ثابتاً أو جانبه إلا شاعرين وهما كعب بن معدان الأشقري وحاجب بن ذبيان المازني المنبوذ بحاجب الفيل. أما الأول فكان من أخلص أصدقائه وأخص زملائه وكانا منقطعين إلى يزيد بن المهلب ولا يفارقان مجلسه ليل نهار ! وأما الأخير فكان من أعدى أعدائه وألد خصومه .

وأما كعب الأشقري فهو كصاحبه من الشعراء الفرسان والخطباء المصاقع وهو الذي يقول لعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه (٣٥) :

إن كنت تحفظ ما يليك فانما عمال أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعوه حتى تجلد بالسيوف رقاب !

فلما سمع عمر بن عبدالعزيز هذا الشعر سأل عن قائله فقيل له ان القائل رجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقري فقال له عمر ، رحمه الله : ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر !

وكعب الأشقري هذا كان قد شارك ثابت قطنة في تلقيبه حاجب بن ذبيان المازني بحاجب الفيل (٣٦) !

وأما علاقة ثابت قطنة مع حاجب الفيل فقد كانت علاقة عدااء وخصام ومنافسة ومضاهاة وكان بينهما التسابي والتهاجي وكان حاجب بن ذبيان المازني هذا منقطعاً إلى يزيد بن المهلب وكان يمدحه ويعتديه بشعره ويكتسب منه كما كان ثابت قطنة وصاحبه كعب الأشقري منقطعين إلى يزيد ويمدحانه ويعتديانه بشعرهما ويكتسبان منه وكان ثابت قطنة يعارض حاجب الفيل ويكذبه فيما يدعيه من الحب والوفاء والإخلاص ليزيد وينقد شعره نقداً صريحاً لا ذعاً وهو الذي لقب حاجباً بحاجب الفيل واشتهر به حتى نسي الناس نسبه وانتماءه إلى قومه ويقال إن حاجب الفيل هذا هو الذي قال في ثابت قطنة يعيره بأنه خامل دعى لاصلة له بالعتيك ولا بالأزد ولا يعرف الناس عنه غير اسمه ولقبه (٣٧) :

لا يعرف الناس منه غير قطنته
وما سواها من الأنساب مجهول

وقد نشأ الخصام والتهاجى بين ثابت قطنة وبين حاجب الفيل يوم دخل
الأخير على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى فلما مثل حاجب بين
يدى يزيد انشده قوله^(٣٨) :

اليك امتطيت العيس تسعين ليلة	أرجى ندا كفيك يا ابن المهلب
وأنت امرؤ جادت سماء يمينه	على كل حى بين شرق ومغرب
فجد لى بطرف أعوجى مشهر	سليم الشظا عبل القوائم سلهب
سبوح طموح الطرف يستر مرجم	أمر كامرار الرشاء المشذب
طوى الضمر منه البطن حتى كأنه	عقاب تلمات من شماريخ كيكب
تبادر جنح الليل فرخين أقويا	من الزاد فى قعر من الأرض مجذب
فلما رأت صيدا تلمات كأنها	دلاة تهاوى مرقبا بعد مرقب
فشكت سواد القلب من ذئب قفرة	طويل القرى عارى العظام معصب
وسابغة قد أتنقن الفين صنعها	وأسمر خطلى طويل محرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه	شهاب متى يلقي الضريبة يقضب
وقل لى إذا ماشئت فى حومة الوغى	تقدم أو اركب حومة الموت أركب
فانى امرؤ من عصبية مازنية	نماني أب ضخم كريم المركب !

فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس ثم قال له : إننا قد عرفنا ما شرطت
لنا على نفسك فى شعرك هذا : فقال له حاجب^(٣٩) : أصلحك الله أيها الأمير ! حجتى
بينة وهى قول الله عزوجل : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى كل واد
يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون)^(٤٠) .

فقال له ثابت قطنة : ما أعجب ما وفدت به من بلدك فى تسعين ليلة ! مدحت
الأمير ببيتين وسألت حوائجك فى عشرة أبيات وختمت شعرك ببيت تفخر عليه فيه
حتى أعطاك ما أردت حدثت عما شرطت له على نفسك فأكذبت بها كأنك كنت
تخدعه ! فقال له يزيد : (مه يا ثابت ! فانا لانخدع ولكننا نتخادع !) ثم سوغه
ما أعطاه وأمر له بألفى درهم .

وحدث حادث آخر في حضرة بن المهلب مما زاد الطين بلة واشتد الخصام والبغضاء بين الشاعرين وهو^(٤١) أن حاجبا دخل على يزيد يريد أن ينشده ما قال من الشعر فيه وعنده ثابت قطنة وكعب بن معدان الأشقرى فوقفت حاجب الفيل بين يدي الأمير فقال له : تكلم يا حاجب فقال يأذن لي الأمير أن أنشده ما قلت فيه من الشعر ! قال له يزيد : ليس ذاك وإنما يجب أن تبدأ فتسأل ما تريده من الحاجة ! فقال حاجب : أيها الأمير ! ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقا ! ولكن المجتهد محسن فلا تهيجني بما تمنعني من الإنشاد وتأذن لي فيه فاذا سمعت فجورك أوسع من مسألتى إياك !

فقال له يزيد : هات يا حاجب ما قلته فانك لازلت مجيدا محسنا مجملا فأنشده حاجب يقول :

كم من كمي في الهياج تركته	يهوى لفيه مجدلا مقتولا
جللت مفرق رأسه ذا رونق	عضب المهرة صارما مصقولا
قددت الجياد وأنت غريافع	حتى اكتهلت ولم تزل مأمولا
كم قد حربت وقد جبرت معاشر	وكم امتننت وكم شفيت غليلا ؟ !

فلما انتهى من الإنشاد قال له يزيد : سل حاجتك ؟ ! فقال : ما على الأمير بها خفاء ! فقال له يزيد : لا بل يجب أن تقول أنت ! قال : إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأمير أعزه الله مع عظم قدره ! قال يزيد : أجل ! فقل يفعل ! فلست بما تصير إليه أغبط منا ! ! فقال حاجب الفيل : تحملي وتخدمني وتجزل جائرتي ! فأمر له يزيد بخمسة تخوت ثيابا وغلامين وجاريتين وفرسين وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم ! فقال حاجب يمدحه :

شم الغيث وانظر ويك أين تبعجت	كلاه تجدها في يد ابن المهلب
يداه يد يخزي بها الله من عصي	وفي يده الأخرى حياة المعصب !

فلما رأى ثابت قطنة هذا العطاء المجزىل بجانب هذا المدح الضئيل ثارت حفيظته واشتد حسده على حاجب فقال له والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت

بملاء كفك نوى ولكنك أعطاك على قدره ! ثم قام مغضبا وقال لحاجب : إنما فعل الأمير هذا ليضع منا باجزاله العطية لمثل هذا وإلا فلو اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا !! ثم قال يهجو حاجبا^(٤٢) :

أحاجب لولا أن أملك زيف
وأنتك مطبوع على اللؤم والكفر

وإني لو اكثرت - - الأبيات .

وهذا الهجاء أغضب حاجبا فقال : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها وإنما أريد أن أهجو اليمن طرا فقال يهجوهم جميعا^(٤٣) :

دعوني وقحطانا وقولوا لثابت	تنح ولا تقرب مصاوله البزل
فللزوج خير حين تنسب والدا	من أبناء قحطان العفاشلة الغرل
أناس إذا الهيجاء شبت وأبتهم	أذل على وطء الهوان من النعل
نساؤهم فوضى لمن كان عاهرا	وجيرانهم نهب الفوارس والرجل

هقيده :

وقد عاش ثابت قطنة في عصر كثر فيه الفرق الدينية وعم التناقش والتجادل في الشئون العقائدية من القضاء والقدر والاختيار والجبر ومعنى الإسلام والإيمان وغير ذلك من المسائل والمشاكل وكان العرب قد بدأ اتصالهم واختلاطهم بالشعوب الأخرى غير العربية وبالتالي بدأ المسلمون يواجهون الأفكار الأعجمية المتناقضة والآراء الفلسفية المتضاربة ويتأثرون بها أيما تأثر كما أن الحروب والفتن الداخلية أثرت في عقليتهم ووجهة نظرهم ومن ثم بدأوا يجتمعون فيتجادلون ويتخصصون وحتى في المناطق النائية والبلاد البعيدة .

فهذه مجالسهم الفكرية تعقد في بعض المدن من خراسان ومن بينها مجلس فكري يحضره الشراة الخوارج والمرجئة من المسلمين ويشاركهم في ذلك صاحبنا ثابت قطنة المعتكى فيستمع إلى مقالاتهم ويصغى إلى دلائلهم وبراهينهم فيميل إلى

قول المرجئة ويحببه ويفضله على أقوال الشراة وآرائهم ثم ينظم قصيدة يصوب فيها آراء المرجئة ويؤيدها فيقول^(٤٤) :

يا هند فاستمعي لى أن سيرتنا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة
المسلمون على الإسلام كلهم
ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا
من يتقى الله في الدين فإن له
وما قضى الله من أمر فليس له
كل الخوارج مخط في مقالته
أما على وعثمان فانهما

أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
ونصدق القول فيمن خار أو عندا
والمشركون استووا في دينهم قددا
من الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
سفك الدماء طريقا واحدا جددا
أجر التقى إذا وفي الحساب غدا
رد وما يقض من شيء يكن رشدا
ولو تعبد فيما قال واجتهدا
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا

شعره :

وأما شعر أبي العلاء ثابت قطنة العتكي فهو شعر عربي رصين متين الأسلوب
جيده يجمع بين فصاحة اللفظ وجزالته وبلاغة المعنى وروعته إلى الموسيقى الحلوة
ومتانة الأوزان ورشاقة القوافي ففيه جمال للعين وحلاوة للسامعة ومتعة للقلب
والروح وكفى به فخراً أن إماماً من أئمة الأدب والنقد من أمثال أبي عثمان
المجاط يستحسن شعره ويقدره حق تقدير ويورد في البيان والتبيين البعض من
أبياته الشعرية السائرة التي قبلت في الإيجاز وبلوغ المعاني بالألفاظ البسيطة .

وهو شعر يحمل طابعا خاصا بشعر الشعراء المتكسبين بشعرهم في عصره
الذين اتخذوا الشعر وسيلة للتقرب إلى الأمراء والملوك وأداة للوصول إلى تحقيق ما
يريدون من الأغراض والأهداف كما أن شعره هذا يذكرنا بشعراء العرب القدامى
الفحول في العصور الجاهلية والإسلامية من أمثال خارث بن حلزة المشكري صاحب
المعلقة المعروفة وجرير ابن عطية الخطفي أغلا ترى ثابتا يقلد خارثا حين يقول
مفتخرا مباحيا :

وإننا لعطافون بالحلم بعد ما
وإننا لحلالون بالشعر لأنرى
نرى أن للجيران حاجا وحرمة
وإننا لنقرى الضيف من قمع النرى
وراحت بصراء ملث جليده
أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامر
وقد كان في غسان مجد بعده

نرى الجهل من فرط اللثيم تكرما
به ساكنا إلا الخميس العرمرما
إذا الناس لم يرعوا لذى الجار محرما
إذا كان رفسد الرافدين تعجشما
على الطلح أرمكا من الشهب صيما
وهم ولدوا عوفيا وكعبا وأسلما
وعادية كانت منى المجد معظما

وأبو العلاء يعود بنا إلى أبي حرزة حين يقول :

تسامون كعبا فى العلا وكلابها
وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

ويقول أبو حرزة :

ففض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وفوق ذلك كله فإن ثابت قطنة كان شاعرا فارسا افتحم معارك السيف
والقلم إنه كان يضطلع للمهمات العسكرية والأعمال الإدارية السامية فيحمد فيها
مكانه وسيرته كما أنه كان يبارى الشعراء وينافسهم في ميادين الشعر فيبدع المعانى
الرفيعة السامية فقد كان شجاعا جريئا صريحا في ميدان القتال كما أنه كان شجاعا
جريئا جسورا صريحا فيما يقوله من الشعر انظر إليه كيف يخاطب مسلمة بن
عبد الملك ويهدده :

أمسلم ! إن يقدر عليك رماحنا
وإن تاق للعباس فى الدهر عشرة
قصاصا ولا نعدو الذى كان قد أتى
ستعلم إن زلت بك النعل زلة
من الظالم الجانى على أهل بيته

* نذتك بها قىء الأسود مسلما
نكافته باليوم الذى كان قدما
إلينا وإن كان ابن مروان أظلمنا
وأظهر أقوام حياء مجمجما
إذا أحصرت أسباب أمر وأبهما

وهو القائل :

إني رهينة يوم لست سابقه
إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا

ويقول :

الله يعلم ماذا يحضران به
وكل عبد سيلقى الله منفردا !

وهو القائل :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن
عارا حليك ورب قتل عار

وقد كان لأبي العلاء ثابت قطنة العتكي رواية يقال له النضر يرويه شعره فيرويه للناس وكان المرهبي الكوفي وضع كتابا في شعره وقد استفاد منه أبو الفرج في الأغاني أما الراوى فلا نعرف له أى ذكر أو أثر وأما الكتاب الذى وضعه المرهبي الكوفي فى شعره فقد عصففت به يد الأيام ولم نعر على شى من ذكره أو أثره ولم يصل إلينا من شعر ثابت إلا أقله فرأينا من المناسب أن نجعله هنا فقد يفيد من يأتى بعدنا من الباحثين :

ثبت لشعره قافية الباء

(١)

قال ثابت قطنة العتكي وقد أرنج عليه على المنبر يوم الجمعة : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال^(١) :

فالا أكنه فيكم خطيبا فأنى
بسيفى إذا جد الوغى لخطيب

(٢)

قال يهجو ابن الكواء اليشكرى الخاوى وقومه :

كل القبائل من بكر نعددهم
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ فقدت
نحاكم عن حياض الوجد والدكم
أنتم تحلون من بكر إذا نسبوا
نيث أن بني الكواء قد نبخوا
يكوى الأبيجر عبدالله شيخكم
واليشكربون منهم ألام العرب
بيشكر أمه المعرورة النسب
فما لكم في بني البرشاء من نسب
مثل القراد حوالى عكوة الذنب
فعل الكلاب يشلى الليث في الأشب
ونحن نبرى الذى يكوى من الكلب

(٣)

وقال يهجو الأمير محمد بن مالك بن بدر الهمداني وكان قد نزل ثابت
بقريته فلم يكرمه الأمير ولم يأمر بقراه وكان قد خطب إلى امرأة من كندة فردوه
فهجاه ثابت بقوله :

لو أن بكىلا هم قومه
لأكرمنا إذ مررنا به
ولكن حيوان هم قومه
وأنت سيد بهم ملصق
وحسبك حسبك عند الشبا
خطبت فجاوزوك لما خطبت
كذبت فزيفت عند النكاح
فلا تخطبن بعدها حرة
وكان أبوه أبا العاقب
كرامة ذى الحسب الشاقب
فبش هم القوم للمصاحب
كما ألصقت رقعة الشاعب
بأفعال كندة من عائب
ت جزاء يسار بالكاعب
لمتك بالنسب الكاذب
فتثنى بوسم على الشارب !

(٤)

وقال يهجو قتيبة بن مسلم الباهلى وقومه ويعيرهم بانهزامهم عن الترك :
توانت تيم في الطعان وعردت
كفأة يهرب الناس حدهم
تسامون كعبا في العلا وكلابها
بقيلة لما عاينت معشرا غلبا
إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نكبا
وهيهات أن تلقوا كلابا ولا كعبا

(٥)

(ج)

وله في يزيد بن المهلب :

أبا خالد زدت الحياة محبة إلى الناس أن كنت الأمير المتوجا
وحتى لهم أن ترغبوا في حياتهم وبابك مفتوح لمن خاف أو رجا
زييد الذي برجو لنداك تفضلا وتؤمن ذا الا جرام إن كان محرجا

(٦)

(د)

وكان ثابت قطنة قد خطب امرأة كان يميل إليها فجعل السفير بينه وبينها
جوير بن سعيد المحدث فاندس فخطبها لنفسه فتزوجها ودفع عنها ثابثا فلما بان
له الأمر قال في ذلك :

أفشى على مقالة ما قلتها وسعى بأمر كان غير سديد
إني دعوت الله حين ظلمتني ربى وليس لمن دعا ببعيد
أن لاتزال متيما بخريفة تسبى الرجال بمقتلين وجهيد
حتى إذا وجب الصداق تلعبت لك جلد أغضف بارز بصعيد
تدعو عليك الجازيات بنكبة وترى الطلاق وأنت غير حميد

(٧)

وقال وهو يذكر يزيد بن المهلب وكرمه وسخاءه بعد أن حرمه بعض أمراء
خراسان من قضاء حاجته :

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ولا ملك ممن يعين على الرشد
ولا فاعل يرجو المقلون فضله ولا قائل ينكى العدو على حقد
لو أن المنايا سامحت ذا حفيظة لأكرمنه أو عجن عنه على عمد

(٨)

وقال وهو يحرض يزيد بن المهلب على الخروج :

إن امرأ حذبت ربيعة حوله والحى من يمن وهاب كثودا

لضعيف ما ضمت جوانح صدره
أيزيد كثر في الحرب إذا هيجهتها
شاورت أكرم من تناول ماجدا
ما كان في أبوك قادح هجته
إنا لضرابون في حمس الوغى
عن طاعة الرحمن أو خلفائه
وترى إذا كفر الحجاج ثرى لنا
يا ليت أسرتك الذين تغيبوا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا

إن لم يلف إلى الجنود جنودا
كأبيك لا رعشا ولا رعديدا
فرأيت همك في الهموم بعيدا
فيكون زندك في الزناد صلودا
رأس المتوج إذ أراد صدودا
إن رام إفسادا وكر عنودا
في كل معركة فوارس صيدا
كانوا اليومك بالعراق شهودا
والمشرفية يلتطين وقودا

﴿٩﴾

قال يذكر راويته وقد أفشى ببعض ما كان قد استكتمه :

يا ليت لي بأخى نصر أخا ثقة
أصبحت منك على أسباب مهلكة
ما كنت إلا كاذب السوء عارضه
أو كابن آدم خلى عن أخيه وقد
أهم بالصرف أحيانا فيمنعني

لا أرهب الشر منه غاب أم شهدا
وزلة خائفا منك الردى أبدا
أخوه يدمى ففرى جلده قددا
أدمى حشاه ولم يبسط إليه يدا
حيا ربيعة والعقد الذى عقدا

﴿١٠﴾

وله قصيدة قالها فى الإرجاء وقد مال إلى الاعتقاد به :

يا هند إنى أظن العيش قد نفدا
إنى رهينة يوم لست سابقه
بايعت ربى بيما إن وفيت به
يا هند فاستمعى لى إن سيرتنا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة
المسلمون على الإسلام كلهم

ولا أرى الأمر إلا مدبرا نكدنا
إلا يكن يومنا هذا فقد أفدا
جاورت قتلى كراما جاوروا أحدا
أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
ونصدق القول فيمن حار أو عندنا
والمشركون استووا فى دينهم قددا

من الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا
سفك الدماء طريقا واحدا جردا
أجر التقى إذا وفي الحساب غدا
رد وما يقض من شيء يكره رشدا
ولو تعبد فيما قال واجتهدا
عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
شق العصا وبعين الله ما شهدا
ولست أدري بحق آية وردا
وكل عبد سيلقى الله منفردا

ولا أرى أن ذنبا بالغ أحدا
لاسفك الدم إلا أن يراد بنا
من يتقى الله في الدنيا كان له
وما قضى الله من أمر فليس له
كل الخوارج مخط في مقالته
أما علي وعثمان فانهما
وكان بينهما شغب وقد شهدا
يجزى علي وعثمان بسمعهما
الله يعلم ماذا يحضران به

﴿ ١١ ﴾

(ر)

وقال يهجو حاجب القيل :

وأنتك مطبوع على اللؤم والكفر
رميتك رميا لا يبديد يد الدهر
بمثلك هل في مازن لك من ظهر ؟
أبوك من الغر الجحاحجة الزهر
ولكنها لاشك وافية البظر
سأكرم نفسي من سباب ذوى الهجر

أحاجب لولا أن أصلك زيف
وإني لو أكثرت فيك مقصر
فقل لي ولا تكذب فاني عالم
فانك منهم غير شك ولم يكن
أبوك ديباى وأملك حرة
فلست بهاج ابن ذبيان أنى

﴿ ١٢ ﴾

وقال يرثى يزيد بن المهلب الذى خرج على بنى مروان فقتل يوم العقر بالعراق:

تدعوك إليه وبابعوك وساروا
نصب الأسنة أسلموك وطاروا
ونأى الذين بهم يصاب النار
مثل الفرات تمده الألهار
عارا عليك وبعض قتل عار

كل القبائل تابعوك على الذى
حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم
شهدتك من يمنى عصائب ضيعت
ولقد بسطت لهم يمينك بالندا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن

(١٣)

(ع)

وقال وهو يذكر قتل عدى بن أرطاة :

ماسرفى قتل الفزاري وابنه عدى ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت معاوى زلت وضعت بها أمرى على غير موضع

(١٤)

وقال في رجل يسمى وكيعاً وقد ولاه المهلب بعض أعمال خراسان :
ما زال رأيك يا مهلب فاضلا حتى بنيت سرادقا لو كيع
وجعلته رباً على أربابه ورفعت عبداً غير رفيع
لو رأى أبوه سرادقا أحدثه لبكى وفاضت عينه بدموع

(١٥)

(ق)

وقال يهجو ربيعة وكانت قد استبطأت يزيد بن المهلب في بعض الأمر أيام
خروجه بالعراق على بنى مروان :

عصافير في الفساد وفي الوغى إذا راعها روع جماميح بروق
أحلم عن ديان بكر بن وائل وتعلق من نفسى الأذى كل معلق
ألم أك قد قلدتكم طوق حرة ونكلت عنكم قيقم كل ملصق
لعمرك ما استخلفت بكرا ليشغبوا على وما في حلفكم من معلق
ضممتكم ضمما إلى وأنتم شتات كفففع القاعة المتفرق
فأنتم على الأدنى أسود مخيفة وأنتم على الأعداء خزان سملق

(١٦)

(ل)

وقال وهو يذكر حماد بن بشر الكلبي المضروب به المثل في علم الأنساب
والذى كان أعلى النسابين في العلم وأجودهم في الحفاظ كما صرح به أبو عثمان
الجاحظ :

فما العضان لو سثلا جميعا أخو بكر وزيد بنى هلال

٤٠

ولا الكلبي حماد بن بشر ولا من فاد في الزمعي الخوالي

﴿١٧﴾

وقال يهجو حميد الرواسي وكان قد وشى هو وعبادة المحاربى إلى سعيد
خديئة حين ولى خراسان بعد انقراض آل المهلب :

وما كان المجنيد ولا أخوه	حميد من رؤس في المعالي
فان يك دعبل أمسى رهينا	وزيد والمقيم إلى زوال
فعندكم ابن بشر فاسألوه	بمرو الروذ يصدق في المقال
ويخبر أنه عبد زنيهم	لثيم العبد من عم وخال !

﴿١٨﴾

وقال يذكر امتناعه عن نصر قومه من الأزد وكان قد عتب عليهم حين
استنصروه فلم ينصروهم فقال :

تعففت عن شتم العشيرة أنى	وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى
حليما إذا ما المحلم كان مروءة	وأحبل أحيانا إن التمسوا جهلى

﴿١٩﴾

ويروى عن دعبل أن ثابت قطنه قال هذا البيت في نفسه وقد خطر بباله يوما :

لا يعرف الناس منه غير قطنته
وما سواها من الآباء مجهول

ثم قال : هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه وأنشده جماعة من أصحابه
والرواة للشعر وقال لهم : اشهدوا أنى قائله ! فقالوا : ويحك ما أردت أن تهجو
به نفسك ولو بالغ عدوك مازاد على هذا المعنى ! فقال : لا بد من أن يقع على
خاطر غيرى فأكون قد سبقته إليه ! فلما هجاه به حاجب القيل استشهدهم على
أنه هو قائله فشهدوا عليه ثم قال يرد على حاجب القيل ويدحضه :

هيهات ذلك بيت قد سبقت به
فاطلب له ثانيا يا حاجب الفيل !

(٢٠)

(م)

وقال حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ما هاج شوقك من بكاء حمامة تدعو إلى فن الأراك حماما
تدعو أخا فرخين صادف ضاربا ذا مخليين من الصقور قطاما
ألا تذكر الأوانس بعدما قطع المعلى سباسبها وهياما

(٢١)

وقال أيضا يرثيه :

ألا يا هند طال على ليلى وعاد قصيره ليلا تمامما
كأنى حين خلقت الثريا سقيت لعاب أسود أو سمماما
أمر على حلو العيش يوم من الأيام شينى غلامما
مصاب بنى أبيك وغبت عنهم فلم اشهدهم ومضوا كراما
فلا والله لانسى يزيدا ولا القتل التى قتلت حراما
فعلى أن أبوء بأخيك يوما يزيدا أو أبوء به هشاما
وعلى أن أقود الخيل شعما شواذب ضمرا نقص الإكاما
فأصبحهن حمير من قريب وعكا أو أرع بهما جذاما
ونسقى مذحجا والحى كلبا من السديفان أنفاسا قواما
عشائرننا التى تبغى علينا تجربنا زكا عامما فعامما
ولولاهم وما جلبوا عليها لاصبح وسطنا ملكا هماما

(٢٢)

وقال أيضا يرثيه :

أبى طول هذا الليل أن يتصرما وهاج لك الهم الفؤاد المتيما

وقد أرقّت عيناى حولاً مجرماً
دعته المنايا فاستجاب وسلماً
كتائبه واستورد الموت معلماً
تسلّيت إن لم يجمع الحى مأتماً
لطالب وتر نظرة إن تلوماً
على ابن أبي ذبان أن يتندماً
نذّك بها قىء الأسود مسلماً
تكافئه باليوم الذى كان قدماً
إلينا إن كان ابن مروان أظلماً
وأظهر أقوام حياء مجمجماً
إذا احصرت أسباب أمر وأبهما
نرى الجهل من فرط اللثيم تكرماً
به ساكننا إلا الخميس العرماً
إذا الناس لم يعرفوا الذى الجار محرمأ
إذا كان رفد الرافدين تجنماً
على الطلح أرمأ كامن الشهب صيماً
وهم ولدوا عوفاً وكعباً وأسلمأ
وعادية كانت منى المجد معظمأ

أرقّت ولم تأرق معى أم خالداً
على هالك هد العشيرة فقده
على ملك يا صاح بالعقر جيبنت
أصيب ولم اشهد ولو كنت شاهداً
وفى غير الأيام ياهند فاعلمى
فعلى إن مالت بى الريح ميلة
أمسلم إن يقدر عليك رماحنا
وإن تلق للعباس فى الدهر عثرة
قصاصاً ولا نعدو الذى كان قدأنى
ستعلم إن زلت بك النعل زلة
من الظالم الجانى على أهل بيته
وإنا لعطافون بالحلم بعدما
وإنا لحلالون بالثغر لأنرى
نرى أن للجير أن حاجاً وحرمة
وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرى
وراحت بصرد ملث جلیده
أبو أبو الانصار عمرو بن عامر
وقد كان فى غسان مجد بعده

(٢٣)

(ن)

وقال يرثى الفضل بن المهلب ويعزى أخته هند بنت المهلب :

وعاثر فى سواد الليل يؤذبنى
ليل السليم وأعيا من يداؤبنى
قاسيت منه أمر الغلظ واللين
هم إذا عرس السارون يشعجبنى
وعصمة وثمالاً فى المساكين

يا هند كيف بنصب بات يبكىنى
كأن ليلى والأصداء هاجدة
لما حنى الدهر من قوسى وعدرتى
إذا ذكرت أبا غسان أرقنى
كان المفضل عزا فى ذرى يمنى

مازلت بعدك فى هم يجيش به
إنى تذكرت قتلى لو شهدتهم
لا أكثر القول فحما يهضو به
لاخير فى العيش إن لم أجن بعدهم
صدرى وفى نصب كاد يلبى
فى حومة الموت لم يصلوا بهادونى
من الكلام ، قليل منه يكفى
حربا تبىء بهم قتلى فيشفي

(٢٤)

وقال يهجو قتيبة بن مسلم الباهلى :

ألم تر أن الباهلى ابن مسلم
تمور أسابى الدماء بوجهه
بفرغانة القصوى بدار هوان
وقد كان صعبا دائم الخطران

* أستاذ اللغة العربية بجامعة بنجاب .

١- فمنهم عشرة العبسى القائل :

ولقد شفى نفسى وأبرا سقمها
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ومنهم أبو الطيب المتبنى الذى يقول :

الخييل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

٢- الاغانى ١٣ : ٤٧ ، الكامل لابن الاثير حوادث ١٠٢ هـ ، الخزائن ٤ : ١٨٥ ، العقد

الفريد ٣ : ٦٣ ، الشعر والشعراء ص ٥٢٦ ، كنى الشعراء ٢٩٢ ، وشرح الشواهد
ص ٨٩ .

٣- الاغانى ١٣ : ٤٩ والخزائن ٤ : ١٨٥ .

٤- الاغانى ١٣ / ٥٠ .

٥- نفس المرجع .

٦- الطبرى والكامل (حوادث ١٠٢ هـ) والاغانى ١٣ / ٤٧ والشعر والشعراء ص ٥٣٦ ،

والقاب الشعراء ص ٢٩٢ والخزائن ٤ / ١٨٥ وشرح الشواهد .

٧- الكامل فى التاريخ (حوادث ١٠٢ هـ) .

٨- الشعراء ص ٥٢٦ ، الاغانى ١٣-٤٧ والخزائن ٤-١٨٥ ، وعيون الاخبار ٢-٢٥٧ .

٩- الكامل ص ٥٧ والقرط عليه ص ٢٥٥ .

- ١٠- عيون الاخبار ٢ ٢٥٧ والعقد الفريد ٢ : ١٦٢ .
- ١١- البيان ٢-٢٣١ .
- ١٢- الشعرا والشعراء ص ٥٢٧ والاغاني ١٣-٤٨ .
- ١٣- يوم العروبة هو يوم الجمعة .
- ١٤- كما قال أبو الفرج (الاغاني ١٣ : ٤٧) وعنه البغدادي .
- ١٥- البيان ٣ : ٣٢٢ .
- ١٦- الاغاني ١٣ : ٥٠ .
- ١٧- الاغاني ١٣ : ٥٢ .
- ١٨- البيان ٤-٥١ .
- ١٩- الاغاني ١٣-٥٢ .
- ٢٠- الاغاني ١٣-٥٣ .
- ٢١- نفس المرجع .
- ٢٢- نفس المرجع والخزانة ٤-١٨٥ .
- ٢٣- تاريخ الطبري ٦ : ٦٠٣ .
- ٢٤- البيان والتبيين ١-١٤٩ والاغاني ١٣-٥٣ .
- ٢٥- الاغاني ١٣-٥٢ .
- ٢٦- نفس المرجع .
- ٢٧- جمهرة أنساب العرب ص ١٠٩ .
- ٢٨- الاغاني ١٣-٥١ والخزانة ٤-١٨٦ .
- ٢٩- تاريخ الطبري ٧-٢٨ .
- ٣٠- الاغاني ١٣-٥٤ .
- ٣١- البيان ١-١٣٤ .
- ٣٢- الاغاني ١٣-٥٤ .
- ٣٣- الاغاني ١٣-٥١ .
- ٣٤- نقائص ص ٣٦٢ .

- ٣٥- البيان ٣-٣٥٨ .
- ٣٦- القاب الشعراء ص ٣٦٦ والاغاني ١٣-٤٨ .
- ٣٧- القاب الشعراء ص ٣٦٤ وكنى الشعراء ص ٢٩٢ .
- ٣٨- الاغاني ١٢-٤٨ .
- ٣٩- نفس المرجع .
- ٤٠- القرآن الكريم ٢٦-٢٢٤ .
- ٤١- الاغاني ١٣-٤٩ .
- ٤٢- الاغاني ١٣-٤٨ .
- ٤٣- نفس المرجع .
- ٤٤- الاغاني ١٣-٥٠ .
- ٤٥- الاغاني ١٣-٥١ .
- ١- الاغاني ١٣ : ٤٧ والشعر والشعراء ص ٥٢٦ والعقد الفريد ٢ : ١٦٢ ، كتاب القرط ص ٢٥٥ ، عيون الاخبار ٢ : ٢٥٧ وشرح الشواهد ص ٩ . وأمالى الزجاجي ص ٢٠١ .
- ٢- كتاب الاغاني ١٣ : ٥٢ .
- ٣- كتاب الاغاني ١٣-٥١ .
- ٤- نفس المرجع .
- ٥- رسائل الجاحظ (كتاب الحجاب) ٢-٨٣ .
- ٦- الاغاني ١٣ : ٥٣ .
- ٧- الاغاني ١٣ : ٥٤ .
- ٨- الاغاني ١٣ : ٥٢ .
- ٩- الاغاني ١٣-٥١ .
- ١٠- الاغاني ١٣-٥٠ والخزانة ٤ : ١٨٦ .
- ١١- كتاب الاغاني ١٣-٣٩ .
- ١٢- الخزانة ٤-١٨٤ الشعر والشعراء ص ٥٢٧ والاغاني ١٣-٥١ وشرح الشواهد ص ٩ .

- ١٣- تاريخ الطبرى ٦٠-٦ .
- ١٤- البيان والتبيين ٥١-٤ .
- ١٥- الاغانى ٥٤-١٣ .
- ١٦- البيان والتبيين ٣٢٢-١ .
- ١٧- كتاب الاغانى ٥١-١٣ .
- ١٨- الاغانى ٥٤-١٣ .
- ١٩- الاغانى ٤٨-١٣ والشعر والشعراء ص ٥٢٧ وألقاب الشعراء (لواذر المخطوطات ص ٣٢٤) والخزانة ٤-١٨٥ .
- ٢٠- الاغانى ٤٧-١٣ ،
- ٢١- تاريخ الطبرى والکامل لابن الاثير حوادث ٥١٠٢ .
- ٢٢- تاريخ الطبرى حوادث ٥١٠٢ والکامل حوادث ٥١٠٢ .
- ٢٣- الاغانى ٥٢-١٣ والبيان والتبيين ١٤٩-١ .
- ٢٤- نقائض جرير والفرزدق ص ٣٦٣ .

معجزات القرآن والعلم الحديث

الدكتور ذوالفقار علي ملك

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين .

أما بعد .

فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . صديق رسول الله صلى عليه وسلم يقول الحق تبارك وتعالى وهو اصدق القائلين .

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)^(١) لقد اخذ الله عهداً وميثاقاً على نفسه بحفظ كلامه القديم المنزل على رسوله الكريم وهو القرآن العظيم . كتاب الله المبين - وحبله المتين ونوره الوضاء الذي فتح الله به آذاناً صماء - وأنار به قلوباً عمياء - وآلان به أفئدة كانت أقسى من الصخر وأصلب من الحديد .

انه كتاب الله الذي اظهر الله به الحق وأعلاه ، وأزهد به الباطل وأرداه ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)^(٢) .

لقد اخبرنا الصادق الأمين صلوات ربي وسلامه عليه في كثير من الأحاديث انه يأتي زمان على امتي تكثر فيه الفتن وتكثر فيه الشبهات وغير ذلك من الاشياء الكثيرة التي تشكك المسلم في عقيدته ودينه ولا يكون هناك خلاص من هذه الفتن

والشبهات الا بالتوجه الى الله تعالى والى فهم كتابه العزيز الذى لا يعتريه التغير ولا التبديل وكذلك فهم سنة نبيه الكريم وماورد فيها من الاحاديث الصحيحة . فلقد ورد كثير من الاحاديث فى كتب الصحاح فى فضل القرآن الكريم وأنه هو الطريق الوحيد الموصول الى سعادة الدنيا والآخرة . منها قول النبى صلى الله عليه وسلم ، انه ستكون فنن كقطع الليل المظلم ، قيل فما النجاة منها يا رسول الله ، قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، فمن تركه تجبراً قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيف به الأهواء ، ولا تشعب به الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ولا يمله الأنقياء . من علم علمه سبق . ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل . ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من الفن والتضليل التى سادت فى هذا العصر الحديث النظريات الغربية التى سرت وشاعت فى البلاد الإسلامية والتى يسمونها بالنظريات الحديثة ومنها نظرية داروين وديكارت وجون بول سارتر - وماركس وكثير من النظريات التى تريد تحطيم الاسلام وتخليص المسلم من العقيدة الصحيحة وهذه النظريات فى حقيقة الامر منحرفة أصلاً عن العلم الصادق الصحيح وقد نهض اليهود واعداء الاسلام بنشر هذه الخبائث بين الامة الاسلامية ادعاء منهم بأنها هى الحضارة وانها المدنية مدنية العصر الحديث الزائف .

وتتلخص نظرية داروين أو دارون كما هو موجود فى بعض الكتب .

ان الانسان تطور من سلفه القرد والقرد تطور من الثدييات الدنيا . وهى ان الحياة نشأت على الارض فى البداية مصادفة من الخلية الأولية - فطريات وطحالب، وتطورت الى اسماك وبرمائيات وزواحف وطيور وحشرات وثدييات الى أن وصلت الى القرد ثم الانسان ، اى عبارة عن خزعبلات وخرافات لا أساس لها من الدين ولا صلة لها بالعلم ولا اصل لها من الصحة ومن العجيب والمؤسف والمحزن ان

هذه النظرية حينما ظهرت اخذت طريقها الى بلاد المسلمين بقوة خارقة وأقاموا لها المحافل والأندية وتناولتها وسائل الإعلام والصحف بالتأييد والترويج حتى ان بعض الشعراء اشار الى هذه النظرية في بعض اقواله وقصائده في تحقير الانسان ومن اقواله الخبيثة :

هو القرد وابن القرد والقرد جده

فلا خير في قرد تناسل من قرد

انهم بهذه النظرية الزائفة المضللة ، ختم الله على قلوبهم وأعمى ابصارهم عن اشياء كثيرة منها :

١- تكريم الانسان الذي فضله الله تعالى .

٢- معجزات القرآن الكريم .

٣- قدرة الله سبحانه وتعالى .

٤- الحديث النبوى الشريف .

١- تكريم الانسان :

يقول الحق تبارك وتعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) (٣) يخبر الله تعالى في هذه الاية الكريمة عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه اياهم في خلقه لهم على احسن الهيئات واكملها وأجمل الصور وأفضلها على انه يمشى قائماً منتصباً على رجله ويأكل بيديه ، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله ويستفح به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضادها في الأمور الدينيه والدينيوه . وأن الله تعالى قد فضله على سائر المخلوقات كما ان في القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تدل على تكريم الانسان منها قوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون ، الا ابليس استكبر وكان من الكافرين ، قال يا ابليس ما منعك ان